الاغتراب والحنين في أشعار عبد المعطي حجازي وسهراب سبهري

طالب الدكتوراه حبيب عفري مفرد
قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة أزاد الإسلامية ـ فرع آبادان ـ إيران
الدكتورة سهاد جادري (الكاتب المسؤول)
أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة أزاد الإسلامية ـ فرع آبادان ـ إيران
sohadjaderi@yahoo.com
الدكتور جواد سعدون زاده
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة أزاد الإسلامية ـ فرع آبادان ـ إيران
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الشهيد تشمران الاهواز ـ كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية ـ إيران
dr.sadounzadeh@gmail.com

Alienation and nostalgia in the poems of Abd al-Mu'ti Hijazi and Sohrab Sepehri

Habib afri mofrad
PhD student Islamic azad University abadan , Branch of Arabic Language and Literature , Iran
Dr.sohadjaderi (responsible writer)
Assistant Professor , Islamic University of Azad , Abadan Branch , Department of Arabic Language and Literature , Iran
dr,javad sadounzadeh
Associate Professor , Azad Islamic University , Abadan Branch , Department of Arabic Language and Literature , Iran
Associate Professor , Shahid Chamran University of Ahvaz , Faculty of Theology and Islamic Studies , Department of Arabic Language and Literature , Iran

الملخص:-

المحاولة في هذه المقالة هي مقارنةٌ لظاهرةِ الاغتراب و الحنين في أشعار أحمد عبد المعطي حجازي الشاعر المصري المعاصر (١٩٣٥م) وسهراب سبهري (١٩٢٨م) الشاعر المعاصر الإيراني الشهير و هي دراسة تطبيقية و تحليلية على منهج المكتب الأمريكي للأدب المقارن، أخذة بعين الاعتبار تحليل الحوافز والدواعي التي آلت بكلا الشاعرين حتى ينهجا منهج الاغترب الروحي والنفسي في حياتهما وأشعارهما بعد الاغتراب المكاني الذي أفرض عليهما بسبب الظروف السياسية و الاجتماعية القاسية. فعندما نراجع أشعار كلا الشاعرين نجد الاغتراب ومعاناة النفس والحنين إلى الماضي والطبيعة النقية وكذلك إلى الوطن المرسوم في مخيلتي الشاعرين، ظاهراً وبيناً وكذلك الحنين والتشوف إلى الأحبة والأقارب والوطن واستذكار الأيام الماضية و الطفولة خاصة.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الحنين، عبد المعطي حجازي، سهراب سبهري.

Abstract:-

The attempt in this article is a comparison of the phenomenon of alienation and nostalgia in the poems of Ahmed Abdel Moaty Hijazi, the contemporary Egyptian poet (1935) and Sohrab Sepehri (1928), the famous Iranian contemporary poet, and it is an applied and analytical study on the approach of the American Office of Comparative Literature, taking into consideration And the reasons that both poets continued to follow the approach of spiritual and psychological alienation in their lives and poems after the spatial alienation imposed on them because of the harsh political and social conditions. When we review the poems of both poets, we find alienation, the suffering of the soul, nostalgia for the past, and the pure nature, as well as to the homeland depicted in the imaginations of the poets, apparently and explicitly, as well as nostalgia, and an appreciation for loved ones, relatives and the homeland, and recalling past and childhood days in particular.

key words: alienation, nostalgia, Abd al-Mu'ti Hijazi, Sohrab Sepehri.

المقدمة:ـ

بعد التحري في أشعار الشاعرين بغية الكشف عن الاغتراب والحنين في قصائدهما وجدنا بوضوح أنَّ الشاعرين أحمد عبدالمعطي و سهراب سبهري من أبرز الشعراء المعاصرين الذين تجلى في أشعارهما العديد من ظواهر الاغتراب و الحنين، منها الحنين إلى الماضي و الطفولة والطبيعة و الحنين إلى الوطن. إضافة إلى أن كلا الشاعرين قد قضيا قسطا من عمرهما في الاغتراب. فقد عاش حجازي عهدا من الزمن في فرنسا بعد إبعاده عن القرية التي كان يسكنها مع أسرته و كذلك سهراب سبهري في البلدان الشرقية و الغربية. لذلك قد تشابهت مضامينهم الشعرية في أسى الاغتراب والبعد عن الوطن وذكريات الطفولة والطوباوية (المدينة الفاضلة أو رسم يوتوبيا).

- أهداف البحث

١ ـ تبيين كيفية توظيف الاغتراب و الحنين في أشعار عبد المعطي حجازي وسهراب سبهري.

٢ ـ تبيين أهم العلاقات و الاشتراكات في الاغتراب و الحنين لدي الشاعرين.

أسئلة البحث:

١ ـ كيف كان يستخدم الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي و سهراب سبهري الاغتراب والحنين في أشعارهما؟

٢ ـ ما هي أهم العلاقات و الاشتراكات في الاغتراب النفسي لدي الشاعرين ؟

٣ ـ ما هي أهم ميزات الاغتراب و دواعيها في اشعار كلا الشاعرين؟

فرضيات البحث:-

١ ـ استخدم عبد المعطي حجازي الاغتراب النفسي والروحي من خلال ميولهما إلى الحياة الريفية والابتعاد عن المدنية وجنوحهما إلى الواقعية وقد توزعت بين اللجوء إلى الطبيعة في عالم الخيال، والإمعان في الرمزية.

٢ـ المشتركات في اغتراب الشاعرين هي عدم بلوغ الأماني الوطنية والقومية والاغتراب

العاطفي الناتج عن الخيبات الشخصية.

٣ـ عالج كلا الشاعرين الاغتراب في موضوعات البعد عن الوطن والأحبة، وذكر الماضي والطفولة، والإنسانية المفقودة والقيم الاجتماعية والحياة السليمة والنظرة العكسية للواقع.

خلفية البحث:-

كتبت مقالات عديدة حول شاعرية احمد عبد المعطي حجازي في موضوعات متعددة منها:

رسالة جامعية عنوانها ((البنية التصويرية في شعر الاغتراب عند احمد عبدالمعطي حجازي و فريدون مشيري)) لسيد محمد حسيني موسى آبادي. جامعة علامه طباطبائي، ١٣٩٥ش. و كذلك مقالة تطبيقية باللغة الفارسية عنوانها: بررسي تطبيقي نوستالژي در شعر احمد عبد المعطي حجازي و نادر نادپور للدكتور خليل پروييني. مدرس جامعة تربية مدرس بطهران.١٣٩٠ جامعة رازي كرمانشاه.

التعريف بالشاعرين:

ولد سهراب سبهري عام١٣٠٧هـ.ش (١٩٢٨م) في مدينة ((كاشان))، وتلقّى دروسه الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه، وبعد إنهائه مرحلة الدراسة الثانوية انتقل الى العاصمة طهران، وبعد سنتين حصل من أحد معاهدها دبلوم. فسمح له بالعمل في إحدى المؤسسات الثقافية (ينظر: امامي و عابدي،١٣٧٥ هش، ص٢٨). منذ عام ١٣٣٣هـ.ش(١٩٥٤م) أخذ سبهري ينتقل من بلد إلى آخر جامعاً ما بين كهف السائح وتعطش الفنان والدارس. فدرس الرسم والنقش في كل من باريس وروما وطوكيو والهند (المصدر نفسه، ص٣٧). توفي سهراب سبهري في مدينة طهران عام ١٣٥٩هـ.ش (١٩٨٠م) بسرطان الدم، وقد تميزت أشعاره بكونها معبرة عن وجدان الشاعر ومجسدة لصدق مشاعره ومعاناته الروحية.

واحمد عبد المعطي حجازي شاعر وناقد مصري، ولد عام ١٩٣٥ بمحافظة المنوفية بمصر. أسهم في العديد من المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية، و هو أحد شعراء الحداثة الذين كان لهم دور في حركة تجديد الشعر العربي المعاصر. (الجازي، ٢٠١١، ٨).

ترجمت مختارات من قصائده إلى الفرنسية والإنجليزية والروسية والإسبانية والإيطالية والألمانية. حصل على جائزة كفافيس اليونانية المصرية عام ١٩٨٩، جائزة الشعر الأفريقي، عام ١٩٩٦ وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٩٧.

ـ معاني المفردات

أ: معنى الاغتراب

((الاغتراب)) هو الابتعاد عن الوطن، ومعنى غَرُبَ: ذَهَبَ، ومنها الغربة والابتعاد عن الوطن. فبذلك ترد الكلمة العربية ((الغربة))في المعاجم العربية؛ لتدلّ على معنى النّوَى والبُعد، فغريب أي بعيد عن وطنه، والجمع الغرباء، والأنثى غريبة؛ وأغرباء هم الأباعد؛ فالكلمة تدلّ على معنيين: المعنى الأول: يدلّ على الغربة المكانية، والمعنى الثّاني يدلّ على الغربة الاجتماعية)) (ابن منظور، ١٩٩٠، ١١٢).

ب: معنى الحنين

حول مفردة ((الحنين)) جاء في كتاب لسان العرب: ((و الحَنينُ: الشديدُ من البُكاء و الطَّرَب، و قيل: هو صوتُ الطَّرَب كان ذلك عن حُزْنٍ أَو فَرَحٍ. و الحَنينُ: الشَّوْقُ و تَوَقانُ النَّفس، و المَعْنَيان متقاربان، حَنَّ إليه يَحِنُّ حَنِيناً فهو حانٌّ. و الاسْتِحْنانُ: الاسْتِطْرابُ. و اسْتَحَنَّ: اسْتَطْرَبَ: و حَنَّت الإِبلُ: نَزَعَتْ إِلى أَوْطانِها أَو أَوْلادِها، و الناقةُ تَحِنُّ في إِثْرِ ولَدِها حَنِيناً تَطْرَب مع صَوْت، و قيل: حَنِينُها نِزاعُها بصوت و بغير يصوت يقال: حَنَّ قَلْبي إِليه فهذا نِزاعٌ و اشْتِياق من غير صوت، و حَنَّت النّاقةُ إِلى أُلّافِها فهذا صوتٌ مع نِزاعٍ، و كذلك حَنَّتْ إِلى ولدها (ابن منظور، ١٤١٥: ١٣، ١٢٨). اما الرازي في مختاره فهو لا يختلف في تعريفه عن أقرانه ففي مادة ((حنين)) الشوق وتوقان النفس وقد حنّ إليه بالكسر حنينًا فهو حانٍ والحَنان. (الرازي ٢٠٠٦، ١٢٤).

١ـ١ـ الحنين إلى الماضي والطفولة

الطفولة من أجمل مراحل العمر الإنساني. مع مرور الزمن لا يبقى منها سوى الذكريات والتحسرات. يجدر بالذكر أن بنية الذهن الأولى ولغته ولاسيما الشعراء تتكون في مرحلتي الطفولة والمراهقة. و إن هذه البنية ستوثر بشكل كبير في جمالياتهم الفنية. (ملا

إبراهيمي و آخرون، ٢٠١٨، ٢٠٧).

إذ أن الإنسان أكثر ما يتعلم في عهد الطفولة والمراهقة من بيئته. فذكريات الطفولة والحنين إليها تتجلى في شعرهما معا. يتعلق هذا القسم من الحنين بحياة الشاعر الشخصية وتجربته الفردية وما يتضمنه، كالرجوع إلى طفولته وقريته.

١-١-١- الحنين إلى الطفولة عند عبد المعطي

فحجازي كثيراً ما ينظر إلى عصره الذهبي ويتذكر أيام طفولته متحسرا. فيرى بعض الباحثين أن عهد الطفولة هو عهد الأباطل والعشق والأساطير الذي اهتم به شعراء الرمانسية كثيرا وذكروه بحسرة وتأوه (سه ير، ١٣٨٣، ١٣٢).

أشار حجازي في أشعاره إلى ذكريات الطفولة كثيراً بسبب ابتعاده عن الوطن. فهو في قصيدة "رسالة إلى مدينة مجهولة" يراسل أباه الذي يقطن في بلدة غامرة، فيعرض الشاعر في هذه الرسالة ذكريات طفولته ويرسم فيها وضعه المأساوي (أبو غالي، ١٩٩٥، ٣٣).

فلذلك نهج الحنين لدى الشاعر مُرٌّ و حزينٌ جدا، فيرسم في شعره صورة قروي بائساً مثابراً يتجلى من خلاله شخصية الشاعر نفسه في عهد الطفولة، فيقول في ذلك:

((مازلت طفلاً يا أبي/ مازالت الآلام أكبر منى/ ما استطعت أن أنام / فتستجيب يا أبي/ ومثلما كنت تعود في أماسي الشتاء/.../ ومثل غيم في ليالي الصيف يترك السماء/ تنقشع الأحزان من روحي وأحضنك/ بجفن عيني أحضنك/ وأستضيفك المساء كله حتى السهر)) (حجازي، ١٩٨٢، ٢٢٧)

من غير شك أن الحنين إلى الطفولة أحد الموضوعات الرئيسة في شعر حجازي، فإن تذكار طفولته يلعب دوراً هاما في دواوينه الشعرية، وحب الطفولة عنده بذكرياته المحة لا يذكر. فيتحدث حجازي عن ذكريات طفولته في قصيدة "الرحلة إلى الريف"، فيقول بعد وصفه لمظاهر الطبيعة الخالبة في قريته:

((يا موطني القديم/ نفسي التي أعتقها من سجنها الرحيل / تطوف فوق جوك النبيل/ نلتمس العمر الذي انتقضي هنا/ نلتمس الذي نما من الشجر/ من رفاق الضحك و البكاء

إخوة الطفولة/ لعلهم يهيئون الآن موكب الرواح/ و ربما لم يمبروا، لم يشهدوا الرجولة (حجازي، ١٩٨٢، ٤٤٥).

يورد الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان "هواي عليك يا محمد" ذكريات طفولته، إذ أنه مع شقيقه باتا يقضيان حياتهما بالوحدة ويصارعان مآسيها. فيطلب الشاعر في هذا القصيدة من "محمد" أن يحيى من خلال العزف على القيثار ذكريات الطفولة المسحوقة أي موت الأب والقرية الزهراء وفي الختام تشرده وضياعه. فيقول:

((فإضرب.../ بطفولتنا المظلومة/بأبينا المحتضر الأشيب!/ بالدرب الصاعد من منزلنا / إضرب بتشردنا بين الطرق المسدودة)) (المصدر نفسه، ٥١٩).

١ـ ٢ ـ ٢ ـ الحنين إلى الطفولة في شعر سهراب سبهري

الواقع أنّ الطفولة هي أجمل سني الحياة، فذكريات الطفولة هي الانطباعات والصّور القوية العميقة التي تتبلور في أيام الكهولة والشّيخوخة واضحة شفّافة، فكلّ ما يراه الطفل، وكلّ ما يشهده من ضروب الألعاب والنُزهات والذكريات، يظلّ راسخاً في أعماقه، كامناً ومتخفياً في عالمه اللاشعوري، لذلك لقد ثبت ((أنّه لا شيء يفنى من الحياة النفسية للإنسان، وإنّ ذكرياته تظل تحتفظ بأعذب الصّور وأقساها، وتبقى تؤثر في الإنسان، وفي تكوين مستقبله)) (باشلار، ٢٠٠٠، ٦).

في مجال نوستالوجيا الطفولة المفقودة، حين ندرس تجارب سهراب سبهري نجدُ أنّه يعتمد على طريقة التداعي في أكثر الأحيان، ومن هنا ندرك أهمية هذه الظاهرة التي تسمى في علم النفس بالتداعي الحرّ للافكار، فذكريات القديمة والتجارب الحاضرة تتكدس في لاوعي الشاعر، فهذه الحالة الذهولية هي من أخصب اللحظات عندهما.

وكذلك، إذا انتقلنا إلى سهراب، وجدناه كعبد المعطي، قد ركز في أشعاره على مرور الأيام الماضية التي انتهت والتغييرات المفاجئة التي عرضت لحياته، فالطفولة تمثلّ للشاعر ذكريات الأيام السالفة والحياة البسيطة التي يسيطر عليها الحبّ والسرور في ضوء الفانوس العتيق وبصحبة أسرته التي بدّلتها صروف الدّهر:

((پرتو فانوس ما، در نیمه راه، میان ماه و شب هستي مرده است:

ستون هاي مهتاب ما را

پيچك انديشه فرو بلعيده است))

(سبهري، ١٣٨٩، ١٢٤).

الترجمة: لقد انطفأ ضوء فانوسنا في منتصف الطّريق بين القمر وليلة الوجود. لقد ابتلعت لفافّة أفكارنا أعمدة قمرنا.

المتأمل في هذا النص الشعري يشاهدُ أنّ الشاعر قد عبّر بعاطفةٍ صادقةٍ عن ذكريات الطفولة التي نقشت ونحتت في قلبه، وشغلت باله، فالشاعر رجع إلى طفولةٍ عمره بحسرة عميقة لأنّه وجد فيها البساطة والطهارة، البساطة التي تبلور حول ضوء الفانوس، والطهارة التي ارتسمت في حياة الطفولة.

قد أصيب سهراب بالألم إزاء طفولة عمره، فظلّ الشاعر بين حين وآخر يصور ذكرياته ويمعن في تصويرها، ليبرز من خلالها حالته النفسية المهمومة التي تحكي عن سيكولوجيته المحزنة. وفي إطار هذا التصور للذكريات القديمة والتجارب الحاضرة، فإنّ الطفولة صارت تلك اللوحة التي ينظر إليها الشاعر سهراب بحسرة أليمة:

((هنگام كودكي

در انحناي سقف ايوانها

درون شيشه هاي رنگي پنجره ها

ميان لك هاي ديوارها

هر جا كه چشمانم بي خودانه در پي چيزي ناشناس بود

شبيه اين گل كاشي را ديدم

و هر بار رفتم بچينم

رؤيايم پرپر شد))

(سبهري، ١٣٨٩، ٥٦).

الترجمة: عند الطفولة، وفي استدارة سقف الإيوان داخلَ زجاجات النوافذ الملوّنة، وبين لطخات الجدار، تبحث عيناي عن شيءٍ مجهولٍ ولكن بلا جدوى. رأيتُ مثل هذه الوردة الكاشية. وكلّما اعتزمت القطف ذبلت وتذمّرت أحلامي.

القصيدة كما نرى خير شاهد على ملامح الحياة المفقودة عند سهراب، تظهر فيها أهمّ سمات الرومانسية كالحنين إلى ذكريات أيام الطُّفُولة والرجوع إلى الماضي الجميل؛ فقد رسم الشاعر فيها لوحة أدبية تتمثّل في صورة إنسان رومانسي مغموم يجلسُ على شاطىء بحر ذكرياته ويتطلّع إلى ذبول أحلامه، تتوالى عليه ظلال الحزن والكابة خلال تذكير ((سقف بيته العتيق))، و((الزجاجات الملونة لنوافذ غرفته المستعملة))، و((الجدران الملطّخة بأقذار الأيام)) وغيرها؛ فتتلائم الكلمات مع الخيال، وقد استعان الشاعر بهذه اللوحة التي تلائم حالته النفسية ليستعين من خلالها بالخيال لنقل أفكاره الناعمة. فسيكولوجية الخيال هنا قائمة على الرجوع إلى الذكريات العذبة التي ابتعدت عن الشاعر وخذلته مع الحزن والكابة.

في هذا الشأن، من يتنقل بين قصائد سهراب سبهري، يستشم رائحة التشاؤم الذكية، فالشاعر ينظر بنظرة تشاؤمية إلى قصّته في الحياة حينما تنفجر الآلام في وجوده وتتناقض الحياة أمامه وكلّ ما يكون في وجوده وإحساسه تتناقض مع الواقع والحقيقة، لذلك، يحسُّ بحكايته المرّة في الحياة، فتسري في أشعاره روح التشاؤم وتُسمع من كلمات شعره أنغاماً حزينة عندما يشبه لحظاته المرّة بالسّم:

((سرگذشت من به زهر لحظه هاي تلخ، آلوده است))

(سبهري، ١٣٨٩، ٢٥).

الترجمة: قصّة حياتي مّسممةٌ بزعاف أوقاتي المريرة.

الذي يسترعي الانتباه في هذه العبارة، أنّ الشاعر سهراب حينما تعكرت عليه صفوة الحياة وتحوّلت أفراحه إلى أتراح، بدأ يتوجع من حكايته كثيراً، ويعتقد أنّها قد تلوّثت بالسّم الزعاف اللحظات المرّة، وبذلك قد أبدع في خياله في ترسيم شقاوة الأيام وما فيها من الحزن والألم.

نجد الشاعر سهراب سبهري قد يعبر عن عواطفه الحزينة عندما يرجع إلى الماضي بكلّ

ما فيه من الأحزان، لذلك إذا نظرنا إلى أشعاره رأينا أنّ التشاؤم قد تخلّل في نفسيته، فتحسّ الشاعر بسامّة الأيام التي تحوّلت أفراحه إلى أتراح.

٢ـ الرغبة و الحنين إلى الحياة الريفية

كانت ميول متزايده لدي الشاعر الإيراني نحو الحياة البسيطة و اللجوء إلى أحضان البيعة النقية، فيقول:

((دانش لب آب زندگي مي كرد/ انسان در تنبلي يك مرتع / بافلسفه هاي لاجوردي خوش بود/ در سمت پرنده فكر مي كرد / با نبض درخت، نبض او مي زد / مغلوب شقايق بود/ مفهوم درشت شط / در قعر اوتلاطم داشت / انسان در متن عناصر مي خوابيد / نزديك طلوع ترس بيدار مي شد (سبهري، ١٣٨٩، ٤١٢).

التعريب: كان يعيش العلم على حافة المياه/كان الإنسان في خمول لطيف مع الفلسفات الاجوردية/ كان يفكر في جانب الطير/وينبض نبضه مع نبض الشجرة/تغلبه ظروف شقائق النعمان/تطلاطم في قاع كلامه معنى الشاطئ الهائج / كان الإنسان ينام بين العناصر/كان يستيقظ قرب الفجر المرعب.

يشير الشاعر إلى الحلقة المفقودة قائلا:

((من پر از نورم و شن / و پر از دار و درخت / پرم از راه از پل / پرم از سايه ي برگي در آب / چه درونم تنهاست (المصدر نفسه، ٣٢٦).

التعريب: أنا مليءٌ بالضوء والرّمل / ومليءٌ بالدار والأشجار / أقفز من الجسر / أقفز من ظل الأوراق في الماء / لأنَّ داخلي وحيد.

١ـ ٣ـ الحنين إلى الوطن

هذا القسم من الحنين نعني به الأمور التي لا تختص بالحياة الشخصية بل نجدها عند الناس عامة. ناهيك عن أن هذا القسم يشتمل على أشياء يعرفها الناس و تتعلق بالاجتماع وهي الحنين إلى الوطن، والتراث الشعبي، والشخصيات التراثية والحضارة، ومصدر هذا النوع التجربة الجماعية. فالحنين إلى الوطن، طبيعة في النفس البشرية ومرتبط بكرامة الإنسان وعزته، وكانت ولاتزال الغربة عن الوطن هما شديدا)) (الجبوري، ٢٠٠٧، ٩).

فالشعراء أنشدوا في الغربة والبعد عن الوطن والديار التي تمزق أوتار قلوبهم وتشعل الحرقة في فؤادهم. فكل ما مزج الشاعر شعره بأحاسيس التحسر والشوق إلى الوطن يسمى الحنون إلى وطنه. لذلك الفرار من المدينة والإقبال على القرية والذي دائما ما يصحب بصور أمام الشاعر أو أيام طفولته وحياته المغتربة البعيدة عن الأهل والبلد والأصدقاء، أدت إلى انعكاس مشاعر الحزن والألسى في شعر الشاعر.

١ـ ٣ ـ ١ـ الحنين إلى الوطن في أشعار عبد المعطي حجازي

نعني بالوطن هنا هو مسقط رأس الشاعر و البيئة التي ترعرع فيها و أغلب ما تكون هي حياة ريفية.

فأحمد عبدالمعطي حجازي وسبهري كلاهما قدّ ولدا في القرية وقد قضيا قسطا من عمرهما في الاغتراب بعيدا عن الألوطان. فمن الطبيعي أن تتجلى في شعرهما عواطف التحسر وأسى الاغتراب عن الوطن والحنين إلى نقاء الجو القروي.

يلجأ حجازي في قصيدة "سلة الليمون" من وحدته وقنوط الاغتراب إلى حضن الطبيعة الدافئ. يصور الشاعر في هذه القصيدة طفلاً قرويا سافر إلى المدينة ومن ثم يرسم من خلال ذاك الطفل وسلة الليمون

حنينه المتزايد إلى وطنه وقريته، فيقول:

((سلة ليمون!/تحت شُعاع الشمس المسنون/ والولد ينادي بصوت المحزون/عشرون بقرشٍ/بالقرشِ الواحد عشرون!)) (حجازي، ١٩٨٢، ١٢٧٠).

الشاعر هنا يرمز بـ ((الليمون)) إلى الحنين. فحين يري سلة الليمون في يد الصبي يحنُّ إلى قريته منبت الليمون. فالليمون بعدما كان في القرية أخضر مندي بالطل تحميه أوراقه من أشعة الشمس، تبدَّل حاله في المدينة، حيثُ ازدحام الشوارع و دخان البنزين. فلا أحد يستطيع شم الليمون، عدا لونه من شدة حرارة الشمس.

فالشاعر يقدم لنا صورة واقعية عن حياته اليومية في المدينة؛ فالليمون إذن رمز ذاتي للشاعر. فقد جعل الشاعر علاقة بين نفسه و بين الليمون فكلاهما جاءا من بيئة واحدة و كلاهما أثرت فيه قسوة المدينة. فالشاعر متعلق بقريته التي هي رمز للهدوء و الطمأنينة.

رفض للمدينة التي هي رمز للتيه و الاضطراب و لعل الشاعر ق عمد إلى اختيار الليمون من غيره ليدل على مرارة العيش الذي يعيشه في المدينة (الجازي، ٢٠١١، ١٥١)

ترمز القرية في شعر حجازي إلى البراءة والنقاء. فالقرية وكل ما يتعلق بها في نظره عنوانا للحياة الخالدة. لذلك يتحدث كثيرا في شعره عن استمرارية الحياة في القرى. فهو يرى أن القرية مهد الوالدة والحيوية (حموده، ٢٠٠٦:٤٢).على العكس تماما توحي المدينة في شعره بمعاني القذارة والموت والموبقات والاحتيال والقساوة والفظاظة (الجازي، ٢٠١١:١٠٢)

من هنا يستمع الشاعر إلى صدى في نفسه ويتمنى العودة إلى نقاء القرية وجمالها وسعادة الطفولة، فيقول الشاعر:

((حملتها في غبش الإصباح / الشوارع مختنقات، مزدحمات/ أقدام لا تتوقف، سيارات /تمشي بحريق البنزين)) (حجازي، ١٩٨٢، ١٢٦)

تعتبر هذه القصيدة صورة رمزية لحياة الشاعر. فحجازي يرى كل خصاله في سلة الليمون التي نقلها من القرية إلى المدينة. لذا يكرر كلمة الليمون أربع مرات في شعره. ما أجمله من ليمون أخضر وطريء وندي تحفظه أوراقه من وهج الشمس، فهو يذكرنا بطراوة القرية ونقاءها ويثير فينا مشاعر الحزن والحنين. فالليمون صباحا في القرية يكون نضيرا وطريئا لكنه ما إن يصيبه حر المدينة حتى يجف ويفقد مذاقه. فثمة اشتراك بين الشاعر والليمون في الشعور بالغربة. فكالهما قد فقد أجواء القرية ونقاءها ونضارتها وساءت حالته في ظل الحياة المدنية (الجازي، ٢٠١١:١٠٢)

فالشاعر بهذه الصورة يتحدث عن صعوبات الحياة المدنية ويرسم براءة الطفل القروي وقساوة التحضر وجفافه. فالتضامن والرحمة والتعاون معان لا نجدها في قاموس المدنية، لذا فهو يرجح القرية بكل بساطتها على المدينة. كذلك يشكو الشاعر من ضيق الحياة المدنية وأحاسيسها الباردة وأجواءها الرتيبة ومن شوارعها المرعبة. فهو في الحقيقة وقع بين قوتين متضادتين؛ الأولى شدة الازدحام والثانية فقدان الصديق الحميم)) (المصدر نفسه، ١٤٤).

فنرى نار الحنين إلى السهول والبساتين والأجواء القروية ساطعة في قلبه ولسانه، لهج

بذكر جمال القرية التي تزيل عن وجه المدينة الغبار والتراب. فيقول الشاعر:

((هنا المدي لا يعرف الحراس /هنا أنا حرّ/ هنا الطيور تستطيع أن تطير / هنا النبات لايزال أخضر الرداء/ هنا الحقيقية لا تعرف التلون المقيت / هنا الدوام و الثبوت)) (حجازي، ١٩٨٢، ٤٤٢)

يرى الشاعر أن ثمة سمات ال يمكن أن نتصور المدينة بدونها من مثل: الأسوار الشاهقة وناطحات السحاب ووسائط النقل الكثيرة وازدحام نسبة السكان والشوارع الضيقة المزدحمة. فهذه من أبرز خصال المدن التي يذكرها الشاعر في قصيدة "إلى اللقاء" كالتالي ويقول:

((شوارعُ المدينة ة الكبيرِة / قيعان نار / تجتر في الظهيرة / يا ويله من لم يصادف غير شمسها/ غير البناء و السياج /غير المربعات و المثلثات/ والزجاج)) (حجازي، ١٩٨٢، ١٢٩)

فالشعراء الذين ينتقلون من القرية إلى المدينة هم أكثر من يهجون المدنية. الاستعجال في عمليات التنقل والخوف والحيرة أمام وسائط النقل من أولى الأمور التي يشكو منها القرويون المهاجرون إلى المدينة (عباس، ١٩٧٨، ٩٠)

إذ أنهم ينتمون إلى مكان أخر يمتاز بالحيوية والحميمة والصفاء والنقاء والنضارة. يحتفل أشعار أحمد حجازي بشذوذ ومفارقات البيئة المدنية. في الواقع فإنه عندما تعرف على أجواء المدينة استطاع أن يدرك مدى أهمية القرية. فلذا قام برسم المدينة ومساوئها ليسلط الضوء من خلال ذلك على فضل القرية وجمالها. يصور الشاعر فيما يلي ليالي المدينة المرعبة ويقول:

((الليل في المدينة الكبيرة / عيد قصير/ النور و الانغام و الشباب / السرعة الحمقاء و الشراب/ عيد قصير /شيئا فشيئا فيسكت النغم/ و يهدأ الرقص، تتعب القدم/ وتكنس الرياح كل مائدة/ فتسقط الزهور/ و ترفع الأحزان في أعماقنا رؤوسها الصغيرة)) (حجازي، ١٩٨٢، ١٣٢).

وصل الشاعر إلى القاهرة آتيا من الريف مثل العديد من أبناء الريف الذين هاجروا منها بحثا عن فرص أفضل في العاصمة المصرية، وقد انطلق الشاعر من المجتمع الصغير الذي

يعرف الناس بعضهم بعضا إلى مسافات واسعة وشوارع ال حدود لها، فهناك كل مظاهر الحياة مختلفة عن الريف، فالشاعر يتحدث عن الليل في المدينة ويصفه بأنه عيد قصير بسبب ما شاهده من حفلات تتراقص فيها الأنوار والأنغام بسرعة ويتلاقى فيها الشباب. إن حياة التحضر تبعث في نفس الشاعر، مشاعر الوحدة و الحنين. فنري الصور الجلفة التي يرسمها الشاعر عن المدينة تغص بالشكاة والأسى.

إنَّ قساوة المدينة وثقل وطأتها أول ما يؤذي روح الشاعر وعلى العكس من ذلك القرية هي مبعث الذكريات الحسنة ومعدن الجمال. حتى أنه عندما يترك القرية بهدف الانتقال إلى المدينة ينقش كل جماليات القرية في قلبه. فالنسيم والسحاب وغروب الشمس وطبيعة القرية الخالبة كلها تثير في نفسه مشاعر االغتراب والحنين إلى وطنه الأم. فلذا في المقطع الأخر من قصيدة "الرحلة إلى الريف" يتحدث عن اشتياقه الشديد إلى الريف وحنينه المتفاقم إلى أجواءه

ويقول:

((يا موطني القديم/ صدري للنسيم / هذا أنا أفتح صدري للنسيم/ هذا أنا أرسل عيني خلف قطعان الغيوم / حيث تبين من بعيد مئذنه/ قصيرة ولم يزخرفها أحد/ لكنها و قد أحاطتها أشعة الغروب / تبيين صفراء على قتامة الشجر)) (حجازي، ١٩٨٢، ٤٤٥).

١ ـ ٣ ـ ٢ ـ الحنين إلى الوطن في أشعار سهراب سبهري

((اهل كاشانم؛ آما

شهر من كاشان نيست

شهر من گم شده است

من با تاب، من با تب

خانه اي در طرف ديگر شب ساخته ام

من در خانه به گمنامي نمناك علف نزديكم

من صداي نفس باغچه را مي شنوم

وصداي ظلمت را، وقتي از برگي مي ريزد

و صداي صاف باز و بسته شدن پنجره تنهايي

و صداي پاك پوست انداختن مبهم عشق))

(سبهري، ١٣٨٩، ١٦٩).

الترجمة: أنا مِن كاشان، ولكن ليس كاشان مدينتي. مدينتي مفقودةٌ. قد بنيت بيتاً في جانب آخر من الليل بالخفّة والمرح. أنا في البيت قريبٌ من خمول العشب النّدي. أسمعُ أنفاس حُدَيقَةِ ونبرة الظلام، عندما يسقط من ورقة وأسمع النبرة الجهورية لفتح وإغلاق نافذة الوحشة والصوت البليغ لاستبدال الحبِّ الغامض.

نلاحظ أنّ القصيدة قد تمثّل لوناً من الشعر الخيالي، فرغم أنّ الشاعر قد تخبّط في توصيف مدينته وتردّد في تعيينها، إلاّ أنّ الجوّ النفسي الذي يشيع في القصيدة هو جوّ نفسي يركن إلى الخيال الممزوج بالحسرة. فهو يتغنى بالمدينة الفاضلة التي فقدها، ولكن يصورها بأبهى الصور، ويعمد في تصويرها إلى طوباوية الخيال.

إنّ تعلّق سهراب بالمدينة التي عجز عن تحديدها تعلّقاً وجدانياً ونفسياً ينمّ عن سيكولوجية خياله، فالشاعر يتسكع في مدينته الطوباوية ويبني في ليلها بيت أحلامه، ويشعر في هذا البيت بإحساس النبات، ويسمع فيه نغمة الحياة من حنجرة الحُدَيقَة، ويصغي إلى نبرة الظلمة التي تسقط من خفقان أوراق الأشجار والصوت الذي يتناهى إلى سمعه من نوافذ بيته وصوت العشق الذي يستبدل جلده.

فنراه في مقوطعة أخرى يعرب عن قرابته إلى تكوين الأرض في البداية و رطوبة الماء و نضارة الأشجار، و كل هذا يدل على رغبة الشاعر و حنينه إلى الماضي فيقول:

((من به آغاز زمين نزديكم/ نبض گلها را مي گيرم/ آشنا هستم با سرنوشت تر آب، عادت سبز درخت)) (سبهري، ١٣٨٩، ٢٢)

التعريب: إني قريب إلى بدايات الأرض/ اقبض نبضات الورود/ إني عالم بسيرة رطوبة الماء/ و كذلك عالم بدأب اخضرار الأشجار.

يحاول الشاعر الهروب من المدينة و اللجوء إلى حضن الطبيعة الطاهر و كذلك يعرب عن رغبته إلى العزلة و الابتعاد عن المولوثات في المدنية فيقول:

((باید امشب بروم/ باید امشب چمداني را/ كه به اندازه تنهايي من جا دارد/ و به سمتي بروم/ كه درختان حماسي پيداست. رو به آن وسعت بي واژه كه همواره مرا مي خواند/ يك نفر باز صدا زد سهراب/ كفشهايم كو/ (سهراب، ١٣٨٩، ٣٩٥).

يجبأن أذهبُ الليلةَ / يجب أن أهيأ الليلة حقيبة تتسع وحدتي و أذهب إلى جهة/ إلى جهة يبدو فيها أشجار الحماسة / إلى مكان يتسع العبارات التي تدعونني/ مرة ثانية هتف بي أحدٌ: سهراب/ اين حذائي؟/

نتائج البحث

الشاعران عبدالمعطي حجازي وسهراب سبهري من أبرز الشعراء الذين تبلورت في شعرهما ظاهرة الحنين والغربة.. فيبدو من نتائج البحث أن كلا الشاعرين قد اشتركا في تبلور مظاهر الحنين من مثل أسى الاغتراب وذكريات الطفولة وضياع القيم ورسم الطوباوية (يوتيوبيا) في شعرهما.

- استخدم عبد المعطي حجازي الاغتراب النفسي و الروحي من خلال ميوله إلى الحياة الريفية و الابتعاد عن المدنية و جنوحه إلى الواقعية.
- استخدم الشاعر الإيراني سهراب سبهري الاغتراب في أشعاره من خلال رغبته إلى الطبيعة الهادئة و الحياة النفية و تلهفه إلى الماضي. وقد توزعت بين اللجوء إلى الطبيعة في عالم الخيال، والإمعان في الرمزية.
- المشتركات في اغتراب الشاعرين هي عدم بلوغ الأماني الوطنية والقومية و الاغتراب العاطفي الناتج عن الخيبات الشخصية، وأخيراً الاغتراب الروحي قد سعى كلا الشاعرين من منجز فني من خلال النفاذ من دائرة الذاتية الضيقة إلى رحاب الإنسانية وبذلك استطاعا توظيف الرمز الأسطوري بما يخدم تجربتهما الشعورية وبناءها الفني.

- عالج كلا الشاعرين الاغتراب في موضوعات البعد عن الوطن و الأحبة، و ذكر الماضي و الطفولة، والإنسانية المفقودة و القيم الاجتماعية و الحياة السليمة و النظرة العكسية للواقع.

فثمة الاغتراب الاجتماعي الذي تمخّض عن وعيهما اليقظ، بإزاء القيم الاجتماعية السائدة به وما نشأ في ظله من اغتراب مكاني ونفور من المدينة.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن منظور. محمد بن مكرم، ١٤٠٨، لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢. أبوغالي، مختار على، ١٩٩٥، المدينة في الشعر العربي المعاصر، بيروت: عالم المعرفة.

٣. إمامي كريم، وكاميار عابدي، ١٣٧٥، زندگي و شعر سهراب سپهري .تهران: نشر ثالث

٤. باشلار، غاستون. ٢٠٠٠، جماليات المكان .ترجمة: غالب هلسا. (ط٥). بيروت: المؤسسة الجامعية.

٥. الجبوري، ٢٠٠٧، يحيى، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، بيروت: دار مجدالوي للنشر والتوزيع.

٦. حجازي، أحمد عبدالمعطي، ١٩٨٢، الديوان، بيروت: دار العودة.

٧. حموده، حنان محمد، ٢٠٠٦، الزّمكانية وبنية الشعر المعاصر أحمد عبدالمعطي حجازي نموذجا، أردن: عالم الكتب الحديثة.

٨. الجازي، زياد جايز، ٢٠١١، ظواهر أسلوبية في شعر أحمد عبدالمعطي حجازي، رسالة ماجستير، جامعة موته.

٩. سپهري، سهراب. ١٣٨٩، هشت كتاب .تهران: انتشارات مبين انديشه.

١٠. سه ير، رابرت، وميشل لووي، ١٣٨٣، رمانتيسم وتفكر اجتماعي (الرّمانسية والفكر االجتماعي)، ترجمه يوسف آبادي، فصلية،

١١. شريفيان، مهدي. ١٣٨٦، بررسي فرايند نوستالوژي در اشعار سهراب سپهري، دراسة ظاهرة النوستالوجي في شعر سهراب سبهري .(نشرة الأدب الغنائي .جامعة سيستان، العدد٨، صص٥١-٦٧

١٢. الرازي، محمد بن أبي بكر، ٢٠٠٦، مختار الصحاح، حلب: دار الرضوان.

١٣. الرّواشدة، علاء زهير، ٢٠١١ م، الاغتراب السياسي لدي الشباب الجامعي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية. المجلد ٤. العدد٣.

١٤. عمر، أحمد مختار و الآخرون ١٩٨٩، المعجم العربي الألساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

١٥. ملا إبراهيمي، عزت و آخرون، ٢٠١٨، ظاهرة الحنين في شعر عبد المعطي حجازي و منوتشهر آتشي، مجلة كلية التربية الإسلامية للعلوم التربوية و الإنسانية/ جامعةبابل.